

الفصل الثاني

البيت المفتوح

من العادات الجميلة التي تنفرد بها ماليزيا عن بقية بلدان العالم الإسلامي، تقليد شعبي اسمه «البيت المفتوح» في عيد الفطر المبارك وهو عبارة عن ولائم تقيمها الأسر المسلمة في بيوتها وتفتح بابها لكل الزائرين، وحتى الغرباء يستطيعون أن يدخلوا فيأكلوا بدون دعوة من صاحب البيت، وحتى الهنود والصينيين فإنهم ضيوف مرحب بهم ومحتفى بهم على موائد البيت المفتوح.

و تستمر بعض الأسر في فتح بيتها للزائرين أسبوعاً أو أسبوعين بشكل يومي وتستضيف مئات الزائرين وتقدم لهم أفضل الأطعمة والمشروبات والحلويات.

ومن الطبيعي أن تجد أن رئيس الوزراء نفسه يفتح بيته للمواطنين في موعد يتم الإعلان عنه، ويخصص حافلات مجانية لتوصيل المواطنين إلى بيته في العيد.

وقد يختار البعض يوماً بعينه في شهر شوال ليقوم اليوم المفتوح فيه، وقد حضرت يوماً مفتوحاً في أحد المطاعم، فعندما يدخل زائر المطعم يحمل طبقاً كبيراً بيده ويبدأ بوعاء الأرز

فيمسك بالمغرفة ويضع بها الأرز في الطبق ثم يمر على أصناف الطعام المختلفة وفي كل منها مغرفة خاصة بها، فيضع ما شاء من أنواع الدجاج المطهوه بطرق مختلفة واللحوم والخضروات والأسماك ثم يجلس ليأكل على أى منضدة، ثم يعود ليأخذ من الحلوى أو ليأخذ مرة أخرى إذا شاء، بلا حساب، ولم ألاحظ أن أحداً قد أخذ أكثر من طعامه المعتاد أو أن المطعم قد زاد الاقبال عليه أو أن أحداً قد حشد أقاربه استغلالاً لهذا المناسبة.

وهم شعب مضياف وودود حقاً، ومن الشائع أن يدعوك أي أحد لتناول الغداء ومن المعتاد أن يقبل أي شخص الدعوة، ولا يوجد عندهم المصطلح المصري «عزومة مراكية»، ولا يضطر الماليزي ليحلف عليك بأغلظ الأيمان لتبلي دعوته على الغداء، لتقسم له بدورك ثلاثة بالله العظيم أنك لا يوجد في معدتك أى مساحة وأنت لا تأكل في هذا الوقت أصلاً، ثم يقنع أحدكم الآخر بتذكيره بتعظيم حلفه بالله، وأنه لا يستطيع أن يصوم ثلاثة أيام، وأن يمين صاحبه هذا يمين لغو، ليقبل دعوته على الغداء، بعدما تأكد من جدية العرض وأنه «مش عزومة مراكية».

بل على العكس، فالأمر هنا في غاية البساطة، وقد كنت في زيارة لإحدى المدارس في ولاية كلتنن فدعاني المدير لتناول

الغداء معهم فأدخلوني إلى قاعة كبيرة مزدحمة بأنواع الطعام وطاولات للأكل وأشار لي أحدهم إلى منضدة كبيرة مليئة بأنصاف الطعام والحلوى والفواكه وقال لي «خذ ما تشاء».

وهذا نظام منتشر في المدارس، فاليوم الدراسي طويل والمدرسون والمدرسات يتناولون الطعام سوياً في قاعة الطعام، بينما يتناول الطلبة غداءهم في مطعم خاص بهم، وهم يتغدون قرب الظهر.

والمطبخ الماليزي شديد الاختلاف عن نظيره العربي، فالأيس كريم بالشطة أو بحبات الفول (نعم أقصد الفول الذي نأكله كل يوم وليس هناك خطأ مطبعي)، والمانجو المخلل، والفواكه بالصلصة، والشاي المثلج، وطبق الأرز الذي يحتوي على الدجاج والسمك في آن واحد والذي يعد أبرز سمات الأكلات الماليزية، كل هذا يعتبر شديد الغرابة بالنسبة لنا كمصريين، إلا أنهم في النهاية مسلمون لا يأكلون ما تعافه النفوس كالصينيين مثلاً الذين يأكلون القطط والكلاب، بل الاختلاف بيننا مجرد اختلاف أذواق، بل إنني أزعم أنني ذقت هناك أطعمة لذيذة جداً وفي غاية الروعة، لاسيما أطعمة مسلمي تايلاند، فكثير من الماليزيين لهم أصول تايلاندية، فالمطبخ الماليزي متنوع وثري فتجد هناك أكلات شرقية وغربية ربما لن تجدها هكذا مجتمعة

على مائدة واحدة في معظم البلاد، فالبلاد عاشت احتلال انجليزي وتأثرت به؛ فتجد الأطعمة الأوروبية، علاوةً على الأكلات الصينية والهندية والعربية، فهم معتادون على كل هذه الأكلات وقد تعلموا من الصينيين طريقة الأكل بالعصاتين shopstics، لكنهم في المعتاد يأكلون بالملقعة أو بأيديهم.

لكن مشكلتي كانت تتلخص في الشطة الحارة التي توضع على كل شيء، فكنت أطلب منهم عدم وضعها وأتجنب الاقتراب منها، وهم يأكلون الأرز في جميع الوجبات، لكن ليس بكمية كبيرة، فلم ألمس رغيفاً أثناء وجودي هناك، اللهم إلا قطعتي خبز توست تم تقديمهما في طبق به قطعة سمك فيليه وسلطة كلوسلو وصلصة بنية اللون، وكل ما سبق يؤكل بالشوكة والسكين حتى التوست، برغم أنهم يعرفون الخبز لكنه ليس شائع الاستعمال حتى إن أحد المصريين الذين كانوا يعملون بماليزيا كان إذا أراد السفر يأخذ معه الخبز، ولكن المطاعم الأمريكية كـ «كتاكي» و«بيتزا هت» منتشرة بكثرة في المدن ولها شعبية كبيرة.

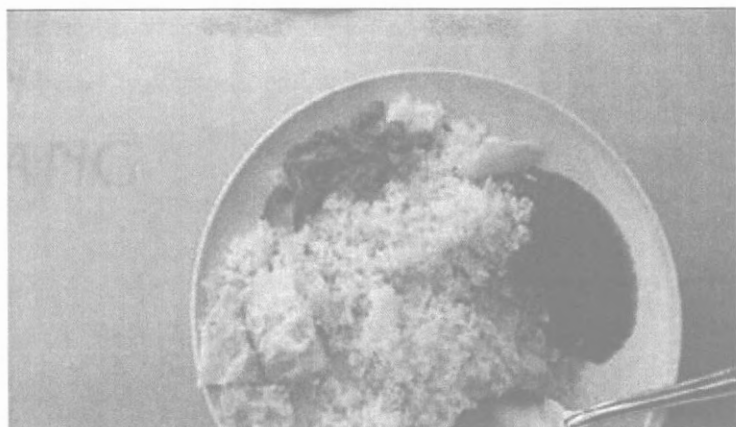
ويتحري المسلمون الملايو الحلال في طعامهم باهتمام بالغ، بل إن الوثنيين المخالطين للملايو صاروا يفرقون بين الحلال وغيره بشكل أكبر من مواطني بعض الدول الإسلامية الذين

لا يهتمهم إلا سعر الطعام ولا يشغلون بالهم بمصدره، فقد كنت واقفاً أمام مطعم لم أتبين هويته فلما سألتهم أجابتنى فتاة صينية أنه halal food «طعام حلال»

سينجورين بلا كبابل

وأول ما وطئت قدماي البلاد دُعيت إلى وجبة اسمها «شوتو» وهي عبارة عن شوربة وبها شعرية وقطع دجاج وأرز مضغوط وفول سوداني وبعض الخضروات، فهم يضعون في الوجبة الواحدة مكونات مختلفة، قد نظنها نحن لا علاقة لها ببعضها البعض، ولكنهم يعتقدون أن هذا هو الشكل الطبيعي والمعتاد للطعام، وربما هم يستغربون طعامنا بشكل أكبر، لو رأونا مثلاً نأكل الفسيخ وأمعاء الماشية.

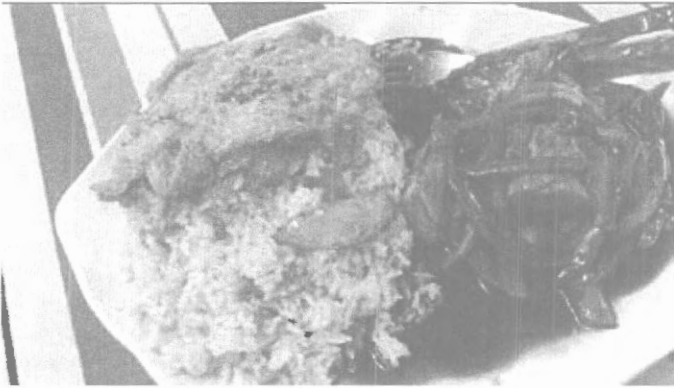
وهناك وجبة شائعة يتناولونها على الإفطار اسمها «ناسي ليماك» من أشهر الأكلات الشعبية، عبارة عن طبق أرز مطبوخ مع حليب جوز الهند وفول سوداني وأسماك أنشوجة مقلية في منتهى الصغر، وبعض الشطة الحمراء كالتي توضع على الكشري المصري، والطبق منتشر بأشكال وإصدارات مختلفة، حتى أنهم صنعوا منه بيتزا منذ فترة قريبة.



الطبق الشهير ناسي ليماك

ولكن أكثر وجبة تناولتها هناك اسمها «سينجورين بلاكابيل»، وهي عبارة عن أرز فوقه طبق بيض مقلي وبصل وخضروات مقلية وقطع دجاج مع صلصة خفيفة بالفلفل الأسمر وتوابل لذیذة، ولم يكن سعر هذه الوجبة سوى ٥ رنجت فقط، وسبب تكراري لها أنني دخلت مطعمًا في بداية زيارتي لكوالالمبور، فلم أستطع التفاهم مع العاملة التي كانت لا تعرف الانجليزية، واجتمعت العاملات في المطعم وأخذن يضحكن من الموقف، حتى حلت إحداهن المشكلة فأحضرت لي عاملاً شاباً يتكلم بالعربية، وهو تايلاندي لكنه عاش فترة بالسعودية، فطلبتُ منه أن يقترح على اسم وجبة شهيرة كي أطلبها إذا تعرضت لمثل هذا الموقف فقال لي:

سينجورين بلاكابيل^٧، فحفظت الاسم وكلمة ذهب مطعماً
وسألوني عن طلبي، أقول لهم «سينجورين بلاكابيل».



سينجورين بلاكابيل

وفرّح العامل بوجودي واتصل بعمه الذي يقيم في القاهرة
ليكلمني، فرحب بي عمه جداً وقال لي إن ابن أخيه سيكون في
خدمتي هناك، فشكرته على مشاعره الطيبة، ولكنني لم أستفد
شيئاً من ابن أخيه بعد ذلك، فلم أكن أراه إلا منهمكاً في عمله.

^٧ عرفت فيما بعد أن نطقها الصحيح «ناسينجورين بلاكابير»

الطلب الغريب

كنت لا أفهم سبب أنني كلما طلبت ماءً لأشرب في المطاعم، يأتون بماء دافئ، فإن طلبت ماءً باردًا أتوا بماءٍ يغلي غليانًا ووضعوا فيه ثلجًا حتى يبرد، فإن سألتهم عن السبب لا أجد إجابة وكأني أنا الذي أحتاج إلى تفسير هذا الطلب الغريب، لكن أحد المصريين الذين لقيتهم أفهمني أنهم لا يشربون الماء البارد، بل يشربون الماء دافئًا بعد غليه على النار تجنبًا للميكروبات التي تعيش في البيئة الاستوائية، فماليزيا قريبة جدًا من خط الاستواء، وقد اعتادوا على شرب الماء الدافئ ولا يحبون شربه إلا هكذا، ولا أحد يشرب من ماء الصنبور بتاتًا بل هي للوضوء وما شابهه فقط لكن يعتمدون على المياه المعدنية للشرب.

وبرغم أنها بلاد استوائية والأمطار فيها غزيرة إلا أن هناك شبكة صرف متميزة تنتظم الشوارع كلها فبمجرد ما إن ينتهي هطول المطر مباشرةً فإن الطرق تعود لطبيعتها وكأن المطر قد غسلها فقط.

بياي

يوجد في إسبانيا أكلة شعبية يأكلون فيها أطعمة كثيرة مخلوطة ببعضها اسمها «بياي» مشتقة من الكلمة العربية «بقايا» يرجع أصلها للعصر العربي بالأندلس عندما كان العرب يقيمون الولائم الكبيرة وبعد الأكل يتخلصون من الـ«بقايا» الكبيرة أيضًا فكان الإسبان يرون إسراف العرب، فيجمعون تلك بقايا الطعام المختلطة ببعضها ويأكلوها، وإلى الآن تعتبر البياي أشهر أكلة إسبانية، ولكن ربما أصلها العربي غير مشهور.

فترك جزء من بقايا الطعام عادة عربية قديمة عرفتنا بها شعوب العالم، ولا يعتبر العرب هذا عيبًا بل مصدرًا للفخر ودليلاً على الغنى والكرم، بينما الماليزيون لا يسرفون في الطعام وينتقدون العرب بسبب أنهم يملأون الطبق بما لا يأكلوه بل يلقى في القمامة في نهاية المطاف، ولا يضع الماليزي طعام في الطبق إلا على قدر ما يحتاجه فقط، لذا كان المصريون المقيمون بماليزيا إذا أخذ أحدهم طعامًا كثيرًا وأراد أن يلقى بقيته في القمامة فإنه يفعل ذلك خفية بعيدًا عن أعين أهل البلاد.

وبرغم غنى الدولة وارتفاع دخل المواطنين إلا أنهم لا يحبون الإسراف في أى شئ حتى إن أحد الطلبة كان متعلقًا بفتاة زميلته في المدرسة فكانا دومًا يلتقيان أثناء الدراسة فإذا جاءت

الاجازة لا يتصل بها أبداً، فلما سألوه لماذا لا تتواصل معها بالموبايل؟ فقال: إن الله يقول: «ولا تبذر تبذيراً!! فكان يكفي بإرسال الرسائل لأن شركات المحمول الأربعة توفر لهم خدمة الرسائل مجاناً، فهم لا يعرفون ظاهرة «الحب في التليفون» توفيراً للنفقات، وبالمناسبة فإنهم لا يضطرون لحمل ال«فكة» في جيوبهم لأجل المواصلات إذ أن الدفع في وسائل المواصلات العامة وكثير من الأماكن عن طريق البطاقة الشخصية التي هي في نفس الوقت بطاقة ائتمان «ATM card» ورخصة قيادة للسيارة، وتستخدم أيضاً في التصويت في الانتخابات^٨.

وبرغم ارتفاع مستوى الدخل، تعتبر كلفة العيش في ماليزيا قليلة بالمقارنة مع الدول الأخرى، وبالمقارنة مع مصر أيضاً، بداية من أسعار الأراضي والعقارات إلى أسعار الوجبات في المطاعم، فقد تدخل مطعمًا فخماً وأنيقاً وتأكل أفضل الأطعمة والأشربة ولا تدفع أكثر من ٩ رنجت. وفي أول جولة لي بالعاصمة مررت على حراس بوابة الجامعة وسألتهم عن مكان قريب للصلاة، فدعوني للصلاة في غرفة الصلاة الخاصة بهم، فإذا هو مسجد في حجم غرفة ضيقة، يصلون فيه كي يحافظوا على صلاة الجماعة ولا يتركوا مكان العمل، فطلبت ماءً لأشرب فأعطاني أحدهم عصير الصويا الأبيض، فلما

٨ تستخرج البطاقة الشخصية في ماليزيا في سن ١٢ سنة

شربته سألني عن رأيي فيه فاستحسنته وشكرته ولما أردت الانصراف سألوني عن وجهتي فقلت لهم إنني غريب ولم أعرف الأماكن بعد، ولكنني أبحث عن مطعم إسلامي، فلما عرفوا أنني عربي نصحوني بالتعرف على طالب عربي يدرس بالجامعة كي يساعدني ويرشدني لما أحтаجه، وسألوني: هل تحب الطعام الهندي؟ فأجبت بالإيجاب -على سبيل التجربة طبعًا-، فاستوقفوا لي تاكسي ووصفوا له مطعمًا هنديًا في حي قريب، ولم يأخذ أكثر من ٤ رنجت، فلم تكن هناك مطاعم قريبة من الجامعة بل الجامعة نفسها بها مطاعم كثيرة وبأسعار معقولة، والمدينة الجامعية أيضًا داخلها، ويستطيع أي أحد دخول الجامعة، في أي وقت، وليس بالكارنيه ولا يوجد تفتيش ولا سؤال ولا قوات أمن، بل إن بوابات الجامعة يدخلها التاكسي كأنه داخل أي حي بالمدينة، فعندما تستوقف تاكسي من أي مكان في كوالالامبور تحدد له اسم الكلية أو مبنى السكن الجامعي المراد وهو يوصلك إلى بابه مباشرة، ولم أقابل سائق ولا راكب يشغل المذياع ولا أغاني ولا أي شئ لا بصوت عالي ولا حتى منخفض، بل من يريد أن يسمع شيئًا يضع سماعاته في أذنه.

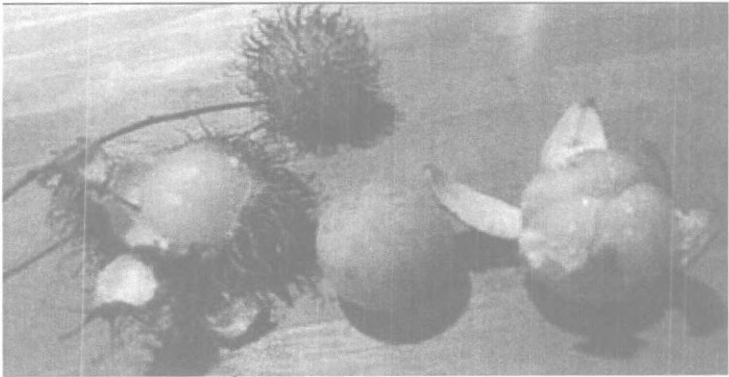


مدخل جامعة الملايا

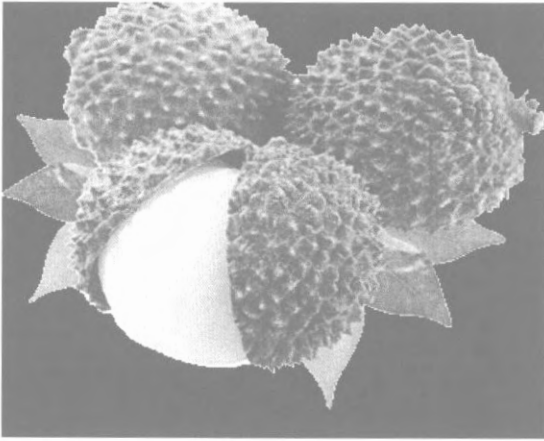
نعود للمطعم الهندي، الذي ما إن وصلت إليه حتى وجدته يشغل موسيقى وأغاني «إسلامية»!! فلم أدخله، ودخلت مطعمًا آخر، حيث تستطيع بسهولة أن تميز مطاعم المسلمين عن غيرهم، فتجد الشهادتين مكتوبتين بخط كبير وعبارات إسلامية باللغة العربية، وبعض المطاعم والكافيهات الراقية تشغل موسيقى رومانسية هادئة لامتاع الزبائن لا لإزعاجهم، ولكن معظمها لا تشغل شيئًا، فهم لا يحبون الضوضاء لذا تجد أذانهم تتمتع بحاسة مرفهة حتى أنني لاحظت أنهم يطرقون على أبواب المنازل بأطراف أصابعهم بشكل لم أكن أتوقع أن يسمع أحدًا بالمنزل.

جرب الفاكهة وحذار من الملك

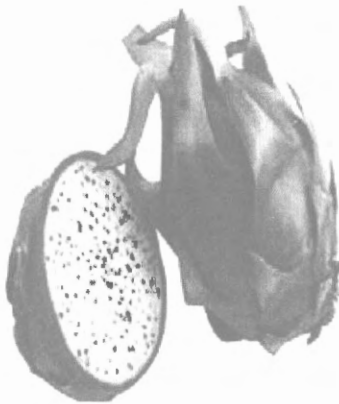
نتيجة اختلاف المناخ يختلف شكل النبات من منطقة لأخرى؛ فهناك أنواع من الفاكهة لا يوجد لها شبيه لدينا مثل ليتشي «lychee» ورامبوتان «Rambutan» وفاكهة التين «Pitaya» ولانجسات «langsat»، وغيرها من الفاكهة الاستوائية لذيدة الطعم، ولكن الاستثناء الوحيد هو فاكهة «دوريان» والتي يسمونها «ملك الفواكه» ويحبها الماليزيون جداً ولكنها بخلاف باقي الفواكه الأخرى فإن طعمها ورائحتها غير مستساغة لمن لم يعتد عليها! ولا أنصح كثيراً بتجربتها، فرائحتها تلازمك فترة من الوقت بعد تناولها.



الليتشي على اليمين ورامبوتان على اليسار



الليتشي



فاكهة التنين



لدوريان

لكن بالنسبة للفواكه المشتركة بيننا وبينهم كالبطيخ فـ«المصري يكسب» لأنه أكثر حلاوة أما البطيخ الاستوائي أكبر حجمًا وأكثر امتلاءً بالماء.

ويقام مهرجان سنوي لاستعراض أنواع الطعام والفواكه، تستضيفه كل عام ولاية مختلفة بالتناوب، فتجد الفواكه الاستوائية، جنبًا إلى جنب مع فواكه المناطق الباردة المرتفعة.

وبرغم وقوعها في المنطقة الاستوائية إلا أن الغابات وما توفره من غطاء نباتي كثيف والبحار التي تحيط بها من معظم جوانبها تساهم في تلطيف درجة الحرارة، والأمطار موجودة معظم العام ولكن موسم الأمطار الاستوائية الغزيرة يمتد من

سبتمبر إلى ديسمبر، لكن درجة الحرارة طوال العام متقاربة لا يوجد فرق كبير بين الصيف و الشتاء فالجو حار بالنهار لطيف ليلاً ويعتبرونه «بارداً» لدرجة أن بعضهم كان يرتدي الجاكت في ليالي شهر أغسطس في «عز» الصيف، حتى أن الجغرافيين يقولون على هذه المنطقة «صيفها نهارها وليلها شتاؤها».